أسس الإصلاح الديني في القرآن الكريم

م.م. عباس محمد جاسم
أ.م.د. أحمد صباح

الملخص:

يمثل القرآن الخطاب السماوي الأخير للبشرية؛ إليه انتهت أصول الرسالات السماوية، وكمل به الدين الإنساني العالمي، فالمؤمن به يجتمع له الإيمان بأنبياء الله جميعا وثواب هذا الإيمان من لدن آدم وحتى خاتم الأنبياء، عليهم السلام.

لذلك نقول: إن هذا الفضاء الإنساني الكبير، والتجارب المتعددة، وعلاقة الأمم المتنوعة بالنبوة أضافت بالقرآن لأعمار الأمة أعمارا، ولتجربة الأمة تجارب الأمم المتعددة، ولإيمان المؤمنين آفاقا تجاوزت الزمان والمكان لتقف بالقرآن على خط النهاية من الرسل، الأمر الذي يؤهلها بالقرآن لتكون مصداقا للرقي والتحضر والهداية لجميع الامم .

الكلمات المفتاحية: (الإصلاح الديني، الرسالات السماوية، الأمم المتعددة).

Foundations of religious reform in the Holy Quran

Abbas Mohammed Jassim
dr. Ahmed Sabah

Abstracts:

The Qur'an represents the last heavenly discourse to mankind; To him the origins of the heavenly messages ended, and the universal human religion was completed with him. The believer in him gathers faith in all the prophets of God and the reward of this faith from the time of Adam to the Seal of the Prophets, peace be upon them.

Therefore, we say: This great human space, multiple experiences, and the relationship of diverse nations with prophecy added ages to the nation’s ages, and to the experience of the nation the experiences of multiple nations, and to the faith of the believers, horizons that transcended time and space to stand with the Qur’an on the finish line of the messengers, which qualifies them with

the Qur'an to be a credibility for progress and civilisation. guidance to all nations.

Keywords: (religious reform, heavenly messages, multiple nations).

المقدمة:

يمكن القول بكل ثقة ،،إن الدراسات التي تمحورت حول القرآن، في الحقول المعرفية جميعا، منذ نزوله وحتى اليوم، وتوسعت وامتدت وتشعبت أكثر من أن تحصى، كثمرة لخلود القرآن، الذي يدعو دائما للنظر والاجتهاد، في ضوء مستجدات الحياة واستمرار تكشف الآيات في الأنفس والآفاق؛ إن هذه الأبعاد المعرفية والثقافية والتشريعية وما يترتب عليها من تغيير في حياة البشرية لم يظفر بها أي كتاب أو مذهب أو فلسفة.

فالقرآن كان ولا يزال محور التفكير، ومحرك الإنتاج الذهني للناس جميعا، سواء في ذلك من يدافع عنه أو من يحاول النيل منه؛ وهو مصدر التشريع والأخلاق والعبادة والمعاملة والسلوك والمعرفة والإجابة عن الأسئلة الكبرى في حياة الإنسان؛ هو دليل الحياة ومصدر رؤية ما بعد الحياة، هو مصدر الفاعلية الفكرية والعلمية والثقافية ومحاولة الارتقاء إلى مدارج الكمال ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)) (الإسراء:٩).

المبحث الاول: اسس الاصلاح الديني في القران الكريم

الإصلاح لفظ قرآني له دلالات عظيمة ، جاء الإصلاح في القرآن بصيغ متعددة تدل في مجملها على أن دين الله تبارك وتعالى يهدف إلى إصلاح الإنسان في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملات، واعتَبَر القرآنُ في عدة آيات منه أن الإصلاح مهمة الأنبياء عليهم السلام ، ووظيفتهم الأساسية قال الله تعالى على لسان شعيب(عليه السلام):-﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ﴾[١]

المطلب الاول : طبيعة الاصلاح وألفاظه في القران الكريم

اولاً: طبيعة الاصلاح ومنهجه في القران الكريم

لقد وضع الله تعالى منهجاً للإصلاح وتحقيق الامن والعزة للمجتمعات يقوم على دعائم اساسية :

الدعامة الاولى:الإيمان بالله تعالى وإقامة الإيمان على عقيدة صحيحة وتفكير سليم ، " الإيمان في اللغة يعني التصديق ، وفي المصطلح الديني وفي علم الكلام والعقيدة: هو الاعتقاد بوحدانية الله تعالى، والآخرة ورسالة النبي الخاتم محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)...والمكان الواقعي والحقيقي للإيمان هو قلب الإنسان وفؤاده"[٢] كما يقول القرآن: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [٣]

الدعامة الثانية: التي تتصلح بها المجتمعات ويتحقق على هديها الامان والسلام هي الاخلاق، فالخلق القويم هو الضمان لأي مجتمع يريد الاصلاح ويبتغي الارتقاء فيجب التركيز على النصوص القرآنية التي تدعوا إلى الاصلاح بكل جوانبه، الاجتماعية والتربوية والاخلاقية والاقتصادية ، وبالتالي يجب العودة إلى هذه النصوص من اجل حل كل الازمات التي تحيط بالمجتمع .

ثانياً: لفظة الاصلاح في القران الكريم.

الآيات القرآنية التي جاءت بها لفظ الاصلاح :

١- الايمان بالله تعالى :

وجاء ذلك في قوله تعالى :أَجَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ(٢٣ [٤] ،"اي ويدخل هذه الجنات الذين عملوا الصالحات من آباء المؤمنين، ومن أزواجهم وذرياتهم، والصلاح استقامة الحال ،..والمصلح من يفعل الصلاح، والصالح المستقيم الحال في نفسه" [٥]، و" تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث، وتدخل الملائكة عليهم من كل باب؛ لتهنئتهم بدخول الجنة"[٦]، و" فيها دلاله على ان ثواب المطيع لله سروره بما يراه في غيره من أحبته، لانهم يسرون بدخول الجنة مع من صلح "[٧] ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [٨] ،

أي" فِى الصالحين في جملتهم ، والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين ، وهو متمني أنبياء الله (عليه السلام) أو في مدخل الصالحين وهي الجنة"[٩]

٢- علو المنزلة : وعلو المنزلة تنال بطاعة الله تعالى والتجمل بالأخلاق بحب الله له يحبه الخلق، وجاء ذلك في قوله تعالى مخاطباً ابراهيم (عليه السلام):﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ [١٠] "وآتينا إبراهيم على قنوته لله ، وشكره له على نعمه ، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرًا حسنا ، وثناءً جميلا باقيا على الأيام يقول : وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لممن صلح أمره وشأنه عند الله ، وحَسُنت فيها منزلته وكرامته"[١١] ،" فإبراهيم(عليه السلام)اصطفاه الله في الدنيا ليكون، الأُسوة والقدوة، للصالحين"[١٢]، ومع أنّه(عليه السلام) كان على رأس الصالحين في الدنيا، فالله سبحانه وتعالى قال انه سيكون منهم في الآخرة كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم، "وهذا يدل على عظمة مقام الصالحين بأن يحسب إبراهيم(عليه السلام) على ما له من مقام سام كأحدهم في دار الآخرة، ولِمَ لا يكون ذلك وقد طلب (عليه السلام) ذلك من ربّه حينما ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[١٣][١٤] اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾[١٥]،اي صالحين فى دينكم، ودنياكم .

٣- الرفق :

اريد بالإصلاح الرفق والاحسان وجاء ذلك في قَولِهِ تَعَالَى:﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ [١٦]،" أي ارفق بهم ، وأصلح أمرهم ، وأصلح نفسك ؛ أي كن مصلحا"[١٧] فان" سياسة الأمة تدور حول مِحور الإصلاح ، وهو جعل الشيء صالحاً ، فجميعُ تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة ، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره"[١٨].

٤- الإحسان :

هدف الأنبياء هو الإصلاح وجاء ذلك في قوله تعالى:﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ [١٩]، " فالاصلاح ، هو شعار جميع الأنبياء وكل القادة المخلصين، وإنّ أعمالهم

وأقوالهم شواهد على هذا الهدف. فهم لم يأتوا لإشغال الناس، ولا لغفران الذنوب، ولا لبيع الجنّة، ولا لحماية الأقوياء وتخدير الضعفاء من الناس، بل كان هدفهم الإصلاح بالمعنى المطلق والوسيع للكلمة"[٢٠]، فالإصلاح العام والمطلق اريد به" إصلاح الحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه" [٢١] ، أي" ما أريد إلا فعل الصلاح أي أن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم بالعبادة" [٢٢]

أن هدف الانبياء (عليهم السلام) هو اعتمادهم ، ودعامتهم على تحقق الاصلاح هو الله سبحانه وتعالى فحسب فكان ،" الإصلاح في الفكر، الإصلاح في الأخلاق، الإصلاح في النظم الثقافية والاقتصادية والسياسيّة للمجتمع، والإصلاح في جميع أبعاد المجتمع" [٢٣].

٥- الطاعة :

لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، وجاء ذلك في قَولَهِ تَعَالَى :"وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون [٢٤] "وكان فسادهم ذلك معصية الله؛ لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة"[٢٥] وهنا في قولهم هذا قد " بالغوا في الرد فحصروا أنفسهم أولاً في الإصلاح مبالغة المفجوع الذي أذهلته المفاجأة بكشف أستار حقيقة ، فتراهم لم يقتصروا على أن يقولوا إنّا مُصْلِحُونَ ، بل قالوا (إنما) ثم أكدوا الجملة بكونها اسمية ليدلوا بذلك على أن شأنهم في الإصلاح ثابت لازم "[٢٦]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ [٢٧] أي " آمنوا بالله ووحدانية وصدقوا أنبياءه ، وعملوا بالطاعات سيجعل الله لهم ودا أي سيجعل بعضهم يحب بعضا، وفي ذلك أعظم السرور وأتم النعمة، لانها كمحبة الوالد لولده البار به"[٢٨].

اخبر الله تعالى عن صفة المؤمنين المصدقين بتوحيد الله ، وصدق انبيائه (عليهم السلام) ،" إن الذين آمنوا بالله تعالى إيمانا حقا ، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضيه سبحانه وتعالى،واطمأنوا إلى قضاء ربهم، وخشعوا له أولئك الموصوفون بذلك هم أصحاب الجنة ،

وهم الخالدون فيها خلودا أبديا وهم الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه "[٢٩]، وهم اصحاب الطاعة المطلقة لله (ﷻ)

٦- اداء الامانه:

وهو حفظ الله سبحانه وتعالى للعبد في دينه وإيمانه ، فيكون الحفظ مرة في حياته من الشبهات المُضّلة ، ومن الشهوات المحّرمة ، والمرة الثانية عند موته فيتوفاه على الأيمان وجاء ذلك في قَولَهِ تَعَالَى:أَوَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا[٣٠]

فكان أبوهما يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها[٣١] ، وكان" رجلا من أصحاب الصلاح والتقوى ، فكان ذلك منه سببا فى رعاية ولديه ، وحفظ مالهم" [٣٢]

٧- بر الوالدين :

" بالرغم مِن أنَّ العاطفة الإنسانية ومعرفة الحقائق، يكفيان لوحدهما لاحترام ورعاية حقوق الوالدين، إلاّ أنَّ الإسلام لا يلتزم الصمت في القضايا التي يمكن للعقل أن يتوصل فيها بشكل مستقل، أو أن تدلُّ عليها العاطفة الإنسانية المحضة، لذلك تراه يُعطي التعليمات اللازمة إزاء قضية احترام الوالدين ورعاية حقوقهما، بحيث لا يمكن لنا أن نلمس مثل هذه التأكيدات في الإسلام إلاّ في قضايا نادرة"(٣٣) وجاء ذلك في قَولَهِ تَعَالَى :ٱلرَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا(٣٤) هنا يفيد تحقيق معنى الاصلاح ، إن تكونوا صالحين ، و " علم الله من نفوسكم و رجعتم و تبتم إليه في بادرة ظهرت منكم على والديكم غفر الله لكم ذلك إنه كان للأوابين غفورا" (٣٥). وهذه إشارة واضحة إلى " أنَّ علم الله ثابت وَأزلي وأبدي وبعيد عن الإشتباهات، بينما علمكم أيّها الناس لا يحمل هذه الصفات! لذلك فإذا طغى الإنسان وعصى أوامر خالقه في مجال احترام الوالدين والإحسان إليهم، ولكن بدون قصد وعن جهل، ثمّ تابَ بعد ذلك وأناب، وندم على ما فعل وأصلح، فإنَّهُ سيكون مشمولا لعفو الله تعالى"(٣٦)

فاذا كانت البادرة من الرجل إلى أبويه ، فانه لا يريد بذلك إلا الخير ، وما دام القلب صالحاً ، فإن باب المغفرة مفتوح .

١- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

جاءت كلمة الاصلاح في بعض آيات القران الكريم بمعنى انصاف البشر فيما بينهم والمحافظة على اعطاء الحقوق ، لان" حقيقة دعوة النبوة هي إصلاح الحياة الإنسانية الأرضية"[٣٧] من خلال الانسان نفسه وفيهم من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر، وذلك "أنهم إذا صلحوا صلحت أعمالهم وإذا صلحت أعمالهم وافقت النظام العام و صلحت بها الأرض لحياتهم الأرضية" [٣٨]، وجاء ذلك في قَولَهِ تَعَالَى: أُوَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ[٣٩]، اي لم يكن" ليهلكهم بشركهم بالله وأهلها مصلحون، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطَون الحقّ بينهم،وإن كانوا مشركين،إنما يهلكهم إذا تظالموا"[٤٠]،أي فيما" بينهم في تعاطي الحقوق أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد" [٤١]

المطلب الثاني: منظومة الاصلاح في القران الكريم

أولا : الاصلاح العقدي(ابراهيم عليه السلام نموذجاً)

العقيدة لغةً: مأخوذة من العقد وهو نقيض الحَلِّ ، وهو يدل على الشدة والوثوق ، ومنه : عَقَد الشيء يعقِده عَقداً وانعقد وتعقد [٤٢].وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا : عقدت عليه القلب والضمير، والعقيدة : ما يدين به الإنسان، يقال : له عقيدة حسنة، أي : سالمةٌ من الشك ، والعقيدة عمل قلبي، وهي إيمانُ القلب بالشيء وتصديقه به [٤٣].

العقيدة شرعاً :هي ما يدين به الإنسانُ ربه وجمعها عقائد ، والعقيدة الإسلامية هي :مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يؤمن بها قلبه وتطمئن إليها نفسه، وتكون عنده يقينًا لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب.[٤٤]

سيدنا إبراهيم (ﷺ) أبو الأنبياء عاش في بيئة تعددت فيها الآلهة، و"أن منهم من كان يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الكواكب"[٤٥]، وأنه (عليه السلام) " كان يحمل فطرة سليمة وصادقة

، تنم عن إيمان فطري"[٤٦] أشارت اليه الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٤٧] وهذه الفطرة السليمة التي كان يمتلكها ابراهيم (عليه السلام)، استقبحت الأفعال التي كان قومه يعكفون عليها ، والتي جعلت ذلك المكان بيئة مَوبُؤة يسودها الشرك والضلال .

عمل ابراهيم (عليه السلام) على قصد إعلاء كلمة " لا اله الا الله" وترسيخها في العقول وتطرف بالقلب البشري وتُعرّفَ الناس بربهم الحق، وتَصلَ في النهاية الى عبادة الله تعالى الحق ، تعبيد ضمائرهم وأرواحهم وتعبيد سعَيِهم وحركتهم وتعبيد شعارهم وحياتهم لهذا السلطان، المتفرد على أساس أن حياة كل الناس تَنبثقُ من هذا الأصل[٤٨] ، ومنهم من ادعى الألوهية كما جاء في مخاطبة النمرود .

ثم بدأ إبراهيم (عليه السلام)"دعوته العامّة بأبية، وذلك لأنّ النفوذ في الأقربين أهم وأولى، كما أن نبي الإسلام(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمر أولا بدعوة عشيرته الأقربين"[٤٩] كما جاء في قوله تعالى:﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٥٠]

وأول ما بدأ به سيدانا إبراهيم (عليه السلام) بإصلاح العقيدة، وهذا نهج كل الرسل، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وترك ما يعبد من غير الله عز وجل، فبدأ سيدانا إبراهيم (عليه السلام) بإنكاره على قومه عبارة الأصنام فكانت الانطلاقة من بيته أذ بدأ بدعوة أبيه آزر قائلاً:﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [٥١] ، فكان جوابهم اقبح من ذنبهم :" أنهم قلدوا الآباء ، وهو جواب

يدل على التحجر العقلي والنفسي، داخل قوالب التقليد الميته[٥٢] .

ويستمر الحوار فيقول (عليه السلام):أُ[٥٣] قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، فيبين لهم (عليه السلام)، " أنه رب واحد ، رب الناس ورب السموات والارض جاء في ضلال هذه الآية أنها ربوبية ناشئة عن كون الخالق لا كما يعتقد المشركون أن الالهة أرباب ، ثم يعبدون تلك الآلهة التي لا تخلق شيئاً[٥٤] فينتقل بعد ذلك من القول الى الفعل ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ[٥٥]، فاراد عليه السلام ان يثبت عجز هذه الحجارة ، وهي محاولة لإقناعهم ، واراد ان يوجه انظار القوم الى استخدام عقولهم وإعمال تفكريهم وإعادة النظر في عقيدتهم.

وَاصلَ ابراهيم (عليه السلام) مسيرتهُ ومقصده في تحرير العقول من الشرك والضلال ، فخاطب (عليه السلام) النمرود وهو أول من تجبر في الأرض، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [٥٦]

يقول الطبري (رحمه الله) :" قال إبراهيم ربي الذي بيده الحياة والموت يحيى من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء، قال أنا أفعل ذلك فأحي وأميت من أريد قتله فلا أقلته، فيكون ذلك من أحياء وذلك عند العرب يسمى إحياء، وأقتل الآخر فيكون ذلك مني أماته له"[٥٧]

تركز الحوار بينهما حول الموت والحياة، وكان (عليه السلام) "يرمي من وراءه الى إنشاء تصور صحيح لحقائق هذا الوجود الأمر الذي لا بد منه للإقبال على الحياة ، بعد ذلك إقبالاً بصيراً ، منبثقاً من الرؤية الصحيحة والواضحة ، وقائماً على اليقين الثابت المطمئن ، فنظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد الأخلاق والآداب ..، ليست بمعزل عن الاعتقاد ، بل هي قائمة عليه ومستمدة منه، وما يُمكن أنَّ تثبت وتستقيم ويكون لها ميزان مستقر إلا أنْ ترتبط بالعقيدة"[٥٨]

كان منهج ابراهيم(عليه السلام) في اصلاح العقيدة اعتمد في دعوته قومه الى "إعمال العقل والفكر ، وهي دعوة ايضاً الى نبذ التقليد وأدرك المسؤوليات والوعي بالمصير ، فالتقليد نقيض الحرية ، فكلما تفكرَ الانسان مارس قِسطاً من حريته ، وكما أعطى مزيداً من

الحرية اتسع أفقُ التفكير لديه، والعكس صحيح، وبناء على ما ذكرَ فكل ما يدعو الى التفكير فهو يدعو الى الحرية بطبيعة الحال"[٥٩]

ثانياً :الاصلاح الاجتماعي: (نوح وصالح ولوط وموسى(عليهم السلام) أنموذجاً)

الاجتماع في اللغة: الجيم والميم والعين، أصل واحد يدل على نظّام الشيء، يقول: جمعت الشيء جمعاً[٦٠]، والجمع: تأليف المتفرق[٦١]، والجماعة: عدد كل شيء وكثرته[٦٢]

الإصلاح الاجتماعي اصطلاحا:" أصل شرعي من أصول الإسلام، يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقتضي ذلك أن يكون في المجتمع أناس يقومون على إصلاح أموره في شؤون الدنيا والدين، بحيث تكفل قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التقدم الدائم والمستمر للمجتمع الإنساني، مع تغير الظروف والبيئات، وتجدد المصالح والعادات، فيكون القصد من ذلك تحقيق الإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي"[٦٣]

نوح (عليه السلام)، "وهو أحد أنبياء أولي العزم ، ولا شك أنّ قصّة جهاده (عليه السلام) المتواصل للمستكبرين في عصره، وعاقبتهم الوخيمة، واحدة من العبر العظيمة في تاريخ البشرية، والتي تتضمن دروساً هامّة في كل واقعة منها ان الصراع الطبقي من الأوضاع الفاسدة في قوم نوح، وكان الملأ يرفضون الاستجابة لدعوة نوح (عليه السلام) بحجة أن أتباعه من الفقراء والمساكين"[٦٤]، كما قال الله حكاية عنهم فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ [٦٥] " إنّهم قالوا: يا نوح؛ لا نرى متبعيك ومن حولك إلاّ حفنةً من الأراذل وغير الناضجين الذين لم يسبروا مسائل الحياة.. وبالطبع فإنّ الملتفين حول نوح(عليه السلام) والمؤمنين به لم يكونوا أراذل ولا حقراء، ولكن بما أنّ الأنبياء ينهضون للدفاع عن المستضعفين قبل كل شيءً، فأوّل جماعة يستجيبون لهم ويلبّون دعوتهم هم الجماعة المحرومة والفقيرة، ولكن هؤلاء في نظر المستكبرين الذين يعدّون معيار الشخصيّة القوة والثروة فحسب يحسبونهم أراذل وحقراء.."[٦٦]

فلما جاء نوح (عليه السلام) دعاهم إلى التوحيد، ثم أنكر عليهم فعلهم ، بقوله :﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[٦٧] ، "أنّ اللجاجة والتعصب لم يكن لها طريق الى قلوب هؤلاء الذين التفوا حول نوح(عليه السلام) لأنّ معظمهم من الشباب المطهرة قلوبهم الذين يحسون بضياء الحقيقة في قلوبهم، ويدركون بعقولهم الباحثة عن الحق دلائل الصدق في أقوال الأنبياء (عليهم السلام) وأعمالهم"[٦٨]، "فهم أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن السلطان والجاه ، فليس لديهم حرص على منصب يضيع ، ولا جاه يهدر، ويجدون في الدين عزاً ورفعة"[٦٩]" فالإصلاح الاجتماعي، يعالج الانقسام الذي حدث في المجتمع بسبب وجود الطبقية بين الأغنياء والفقراء، ولهذا كان متعاطفاً مع الفقراء، ومعادياً لأسلوب حياة الأغنياء ولنظام الطبقات المتوارث، وكان يسعى لتجاوز هذا الواقع الاجتماعي"[٧٠] .

وأما الملأ من قوم عاد وثمود فقد استخدموا البنايات العظيمة ليصدوا الناس عن عبادة الله) " نصحه (عليه السلام) إلى عاد دعاهم إلى التوحيد، وافتتح (عليه السلام)عز وجل، فلما أرسل الله هوداً (لقومه ، بحضهم على تقوى الله وإخلاص العبادة له وبيان أنه أمين فى تبليغ رسالة الله تعالى إليهم ، فهو لا يكذب عليهم ولا يخدعهم ، وببيان أنه لا يسألهم أجرا على نصحه لهم ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً :، وإنما يلتمس الأجر من الله تعالى وحده"[٧١] ، ثم قال لهم) ان يخبر "هؤلاء القوم المثرين، الذين كانوا يبنون على قمم الجبال (عليه السلام)﴿تَعْبَثُونَ[٧٢] ، فاراد (والمرتفعات الأُخر مبانيَ عالية للظهور والتفاخر على الآخرين، وهذه المباني، لم يكن من ورائها أي هدف سوى لفت أنظار الآخرين، وإظهار قدرتهم وقوّتهم من خلالها"[٧٣] "أنّكم غارقون في أمواج الدنيا، ومنهمكون بعبادة الزينة والجمال والعمل في القصور حتى نسيتم الدار الآخرة!... فلم تتخذوا الدنيا على أنها دار ممر، بل اتخذتموها دار مقر دائم لكم"[٧٤]

) من دعوة قومه وهم (ثمود) إلى التوحيد ، "أنهم كذبوا (عليه السلام) وكذلك ما قام به صالح (المرسلين، ولم يصدقوهم فيما دعوهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد وترك عبادة الاصنام، حتى قال لهم أخوهم في النسب صالح، وهو النبي المبعوث اليهم ألا تتقون الله باجتناب معصيته وترك عبادة من سواه ، اني لكم رسول أمين"[٧٥] ثم قال لهم:﴿أَوَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾[٧٦]

وقال أيضا والحسرة في قلبه على قومه: "يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى كاملة غير منقوصة ، ونصحت لكم بالترغيب تارة والترهيب أخرى ، ولكن كان شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم"[٧٧] ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٧٨]، أي أنه: أبان عن نفسه أنه لم يأل جهداً في إبلاغهم الرسالة ومحض النصح.

وأما قوم لوط فقد ارتكبوا جريمة لم يسبقهم بها أحد من العالمين، فلما جاءهم لوط (عليه السلام) دعاهم إلى التوحيد، لوط(عليه السلام) هذا النّبي العظيم، كشف أخيراً ما في نفسه وقال لقومه: (أإنّكم لتأتون الرجال) أفتريدون أن تقطعوا النسل ، وتقطعون السبيل، ولا ترعوون عن

الأعمال المخزية في مجالسكم العامة"[٧٩] فأنكر عليهم فعلهم الشنيع، بقوله: أَأَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[٨٠]

"ان طريق إصلاح البشر هو تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيأ للسعادة والكمال"[٨١]

النبي موسى (عليه السلام)، العادل، الصابر الصامد، المصلح المخلص، يوصى أخاه هارون (عليه السلام) عندما أراد أن يتفرغ للقاء ربه ، قبل مغادرته لقومه واعتزاله واعتكافه بوصيته تلك : فانظروا بماذا أوصاه النبي موسى:(وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ).

يقول موسى لأخيه (عليه السلام): "وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته، وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعْبد ، ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض، بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم"[٨٢].

ذلك وموسى(عليه السلام) " يعلم أن هارون نبي مرسل من ربه معه ، ولكن المسلم للمسلم ناصح ، والنصيحة حق وواجب للمسلم على المسلم . . ثم إن موسى يقدر ثقل التبعة ، وهو يعرف طبيعة قومه بني إسرائيل! . . وقد تلقى هارون النصيحة لم تثقل على نفسه! فالنصحية إنما تثقل على نفوس الأشرار لأنها تقيدهم بما يريدون أن ينطلقوا منه؛ وتثقل على نفوس المتكبرين الصغار ، الذين يحسون في النصيحة تنقصاً لأقدارهم"[٨٣].

ان المجتمعات الانسانية على مر العصور، والازمان ومن خلال سيرة الانبياء (عليه السلام) وتعاملهم مع اقوامهم نرى ،"أن نفوس المؤمنين تتشابه فى إخلاصها ونقائها وصفائها وحسن تقبلها للخير، بينما نفوس الكافرين تتشابه أيضاً فى ظلامها وقوستها وفجورها وسوء تقبلها للهداية"[٨٤] .

الإصلاح في المجتمعات ليس بالبنيان العالي ولا بتغيير الوان البيوت إلى شتى ، ولا تغيير الأوجه والمناظر، ولا تغيير في أعضاء الإنسان بالزيادة أو النقصان ، ولكن يحدث بتغيير الشعور الداخلي في نفس الإنسان وبمكارم الخلاق التي يمتلكها والفضائل ليصبح عنصراً فعالاً له دور في بناء المجتمع الصحيح.

ثالثاً: الاصلاح الاقتصادي في القران الكريم(النبي شعيب(عليه السلام)نموذجا)

الاقتصاد في اللغة: القاف والصاد والدال، أصول ثلاثة تدل احدهما على إتيان شيء[٨٥]، والأخر على اكتناز في الشيء [٨٦]، والقصد استقامة الطريق[٨٧] والقصد في المعيشة أي لا تسرف ولا تقتر [٨٨]، والاقتصاد ضد الإفراط[٨٩]، والاقتصاد

علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع[٩٠]

الاقتصاد في الاصطلاح :

يعرف بأنه "الدراسة العلمية للظواهر المتعلقة بالنشاط الاقتصادي "[٩١]

الإصلاح الاقتصادي: هو "إصلاح المؤسسات الاقتصادية وهيكلة الإنتاج ،واستخدام امثل للموارد المتاحة وتخفيض الطلب وزيادة العرض"[٩٢].

الاقتصاد الإسلامي: هو" الأحكام والقواعد الشرعية التي تنظم كسب المال، وانفاقه وأوجه تنميته.[٩٣]

جاء في القران الكرم في إشارة إلى الإصلاح الاقتصادي، وذلك في قصة النبي شعيب (عليه السلام) مع قومه، وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [٩٤]،

في الآية الكريمة "نهي عن التنقيص وأمر بإيفاء العدل" [٩٥]، وذلك بتوفية أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ولا نقص[٩٦] ، ولا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم إصلاح ما افسدوا[٩٧] ، لذا دعاهم أولا إلى الصلاح بالنهي عن نقص المكيال و الميزان [٩٨]،لأنها مفسده عظيمه تجمع السرقة والغدر[٩٩]، فكفروا بالله تعالى ونقصوا المكيال والميزان في البيع، وأظهروا الخيانة فبعث الله تعالى إليهم شعيباً[١٠٠].

بعث الله تعالى "سيدنا شعيب (عليه السلام) إلى مدين وهو اسم القبيلة لأنهم أولاد مدين بن إبراهيم (عليه السلام)"[١٠١] ، "يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين،

بالإكثار من عمل المعاصي"[١٠٢] ، و كان يقال لسيدنا شعيب خطيبُ الأنبياءِ لحسن مراجعتِه قومَه ، وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان[١٠٣]

فالنبي شعيب (عليه السلام) ، والذي يعتبر هو قدوة الصالحين، وصاحب العقل الاقتصادي، والمحارب للفساد المالي، نهى عن الغش وأكل مال الناس ، وأمر بتوزيع الثروة بين الناس بالعدل ، لان المال هو حق للجميع في توزيعه واستثماره لينعم الجميع به، فكان (عليه السلام) المنادي الاول بالإصلاح الاقتصادي ، فقال قولته المشهورة، وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [١٠٤]

رابعاً : الاصلاح السياسي في القران الكريم

السياسة في اللغة: القيام على الشيء بما يصلحه [١٠٥]، وساس الرعية يسوسها سياسة[١٠٦] ، وهي فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسة يقوم عليها ويروضها، والوالي يسوس الرعية وأمرهم[١٠٧]

السياسة اصطلاحا :

" هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير" .[١٠٨] وهو "علم بما يدفع المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها" [١٠٩] .

الالفاظ التي وردة فيها السياسية في القران الكريم:

لم ترد كلمة السياسة بهذا اللفظ في القرآن الكريم، ولكن وردت مرادفاتها مثل: الحكم والمُلك والتمكين والاستخلاف، ولكن وردت بكثرة في آياته الكريمة على اللفظ الاتي:

١- كلمة الملك: أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا[١١٠]، قيل في معنى ملكا

عظيما ملك سليمان [١١١]، وقيل النبوة، وهي أعظم مراتب الملك لأن العلماء لهم

أمر عظيم على بواطن الخلق، والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق، والأنبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر[١١٢]

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ كلمة الحكم : اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا[١١٣] ، "وفيها تصريح بأنه ليس للجميع أن يشرعوا في الحكم بل ذلك لبعضهم"[١١٤]، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [١١٥]، وحكم الجاهلية، يعني:" أحكام عبَدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوزُ خلافه" [١١٦] ، وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ[١١٧]، أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا[١١٨]

١- التمكين: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [١١٩]، أي ملكناه أرض مصر[١٢٠]، وجعلناه على خزائنها بضع سنين[١٢١] وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [١٢٢] ، والتمكين التوطئة في أرض مصر والشام بحيث ينفذ أمرهم ويتسلطون على من سواهم [١٢٣]، ونجعلهم أئمة أي ولاة وملوكا[١٢٤].

الاستخلاف : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [١٢٥] ، أي" أن يصيروا خلفاء الله في أرضه [١٢٦]، و ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها [١٢٧][١٢٨] ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ

خامساً : الإصلاح التربوي في القران الكريم(يوسف عليه السلام نموذجا)

تمثل الاصلاح التربوي عند النبي يوسف(عليه السلام) في كثير من المعاني السلوكية المهمة، والتي تجسدت في شخص نبي الله يوسف(عليه السلام)، ومن ابرز المبادئ والسلوكيات التربوية التي ، وجدت في شخصه (عليه السلام) :

أولاً : العفة والامانة وصون الفرج

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [١٢٩] ، جسَّد (عليه السلام) معنى الأمانة من خلال عدم خيانته سيده ، ومن جانب آخر امتاز (عليه السلام)" بأمانته تجاه سيده ، فعف نفسه وصان فرجه" [١٣٠].

ثانياً : العفو عند المقدرة.

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ[١٣١]، فالعفو من أهم الصفات التربوية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان ، وما ذلك إلا تلبية لدعوة الله ﷻ بمقابلة إساءة الناس وذلك بالإحسان إليهم ، لأن ذلك من شأنه أن يكون داعياً إلى نزع الحقد من صدورهم وإحلال المودة بدله[١٣٢]، وإن يوسف إنما ذكر اليوم فهو إشارة منه عليه السلام إلى ذلك لأنه أول وقت العفو.

ثالثاً:الإقرار بالذنب والاعتراف به: قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ[١٣٣]، قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ [١٣٤].

ولأهمية الاعتراف بالذنب كسلوكية اجتماعية ، فقد عدّ شرطاً في قبول التوبة.

رابعاً: العهد والميثاق

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ[١٣٥] ولأهمية الوفاء بالعهد كمنهج تربوي مهم في حياة المجتمع ، فقد جاءت الدعوة إليه في بضع وعشرين آية من القرآن الكريم[١٣٦].

خامساً : الصبر

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ[١٣٧]، [١٣٨]، وفي هذا دعوة حقيقية لضبط النفس ، فالصبر" أم الفضائل؛ لأنه استفراغ كل الجهد في سبيل تحمل المشاق والمكاره والمصائب والصمود في مواقف الخطر وعدم الانقياد للنفس الأمارة بالسوء"[١٣٩]

فنحن اليوم بحاجة ماسة ، وملحة إلى أن يكون لهذه التربية أثرها في سلوك أطفالنا وشبابنا ، وما صلاح المجتمع إلاّ من خلال إصلاح أفراده

سادساً : الاصلاح الشامل (محمد صلى الله عليه واله وسلم نموذجاً)

الأنبياء عليهم السلام حملوا راية النهوض بالمجتمع البشري منذ بدايته و اختلاف الأزمنة والعصور، منذ نوح (عليه السلام) وانتهاء بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)،وقد كان الاصلاح النبوي والذي سارت علية الدعوة الإسلامية التي قادها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثورة لا تنفصل فيها الحياة عن العقيدة ولا ينفصل فيها الوجه الاجتماعي عن المحتوى الروحي .

عملية الاصلاح التي قادها الانبياء عليهم السلام كانت تقوم على محورين اساسيين هما : المحور الثابت ، والمحور المتحرك (المتغير).

اولاً: محور الاصلاح الثابت (الدعوة إلى عبادة الله) : أي العقيدة التي هي أطروحة (التوحيد – النبوة – المعاد) ، حيث ركز النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجانب العقائدي ، باعتباره الأساس في بناء المجتمع الإنساني السليم ، كما هو عليه الحال في تركز الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) جميعاً على ذلك وفي طليعتهم النبي نوح (عليه السلام)والنبي ابراهيم (عليه السلام) .

ثانياً : محور الاصلاح والمتغير (المحور الاجتماعي): النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ايضا حمل لواء الاصلاح والتغيير، في بناء المجتمع بناء اجتماعي صحيح ، بناءاً على الحاجة الفعلية[١٣٧] لذلك الواقع ، وتمثل ذلك في:

١- المجتمع الذي يعاني من الظلم السياسي ،فكان النبي (ﷺ) يركز على الاصلاح السياسي كما فعل موسى (عليه السلام)،اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [١٤٠]

٢- المجتمع الذي يعاني من الفساد الأخلاقي يركز النبي (ﷺ) على الإصلاح الخلقي كما فعل لوط (عليه السلام)وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ [١٤١]

٣- المجتمع الذي يعاني من تردي الحالة الاقتصادية ، وسوء توزيع الثروة يركز النبي(ﷺ) على الإصلاح الاقتصادي كما فعل النبي شُعيب (عليه السلام)،وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [١٤٢]

فالنبي محمد (ﷺ) هو خاتم الانبياء والمرسلين ، عانى ، وجاهد وصبر، وكم أوذي في نفسه وأهله، وكم لوحق في أصحابه وأحبابه(ﷺ)، فكان نبراسا للإصلاح الشامل أخلاقياً وسياسياً، واقتصادياً واجتماعياً، لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [١٤٣]، فقد رباه الله (ﷻ) كما ذكرت هذه الآية فاحسن تربيته.

فأنبياء الله (ﷻ) عاشوا حياتهم صالحين مصلحين، وضحوا بأنفسهم وأموالهم شراء لجنة الخير والصلاح، أعد الله(ﷻ) لكل مصلح صالح اجراً عظيماً، وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ [١٤٤]

الخاتمة

رحلة الشقاء التي كان الإنسان أولى ضحاياها، أعادت التفكير بموضوع الإنسان من جديد، وإلى اعتبار الإنسان أو إنسانية الإنسان هي هدف الإصلاح ووسيلته في الوقت ذاته؛ ذلك أن في تلك التجارب ما فيها من حياة الضنك جعلت الإنسان يقف حائرا قلقا معذبا خائفا شاكا يعاود البحث من جديد... إنه الإعراض عن طريق القرآن في الإصلاح،

قال تعالى: ((ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا)) (طه:١٢٤)،

إن منهج القرآن في الإصلاح توجه صوب الإنسان لتغييره وإعادة صياغته وبناء شاكلته التي يعمل عليها

((قل كل يعمل على شاكلته)) (الإسراء:٨٤)،

فالإنسان في القرآن هو وسيلة التغيير، وهو هدف التغيير.

والإصلاح يبدأ من تغيير عالم أفكاره وبناء شاكلته، كما أسلفنا؛ والمعادلة الصادقة للتغيير والإصلاح تتمثل في قوله تعالى:

((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (الرعد:١١).

فالإنسان في الإسلام خليفة الله في الأرض، والقرآن دليله إلى بناء الحضارة وإقامة العمران، وفق قيم السماء.

المصادر والهوامش:

(١) هود ٨٨

(٢) جعفر سبحاني: العقيدة الاسلامية على ضوء اهل البيت عليهم السلام : ٢٥٩.

(٣) المجادلة :٢٢

(٤) الرعد/ ٢٣.

(٥) الطوسي: التبيان في تفسير القران:٦/٢٤١.

(٦) مجموعة من العلماء – عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: التفسير الميسر :٤/٢٣٤.

(٧) الطوسي: التبيان في تفسير القران :٦/٢٤١.

(٨) النمل/ ١٩.

(٩) الرازي ، الكشاف : ٥/١٩٣.

(١٠) النحل/ ١٢٢.

(١١) الطبري:١٧/٣١٩

(١٢) مكارم الشيرازي ،الامثل : ١/٣٨٧

(١٣) الشعراء / ٨٣.

(١٤) المصدر السابق: ٨/٣٦٠.

(١٥) يوسف/ ٩

(١٦) الاعراف / ١٤٢.

(١٧) القرطبي : تفسير القرطبي :٢٤٣/٧.

(١٨) بن عاشور: التحرير والتنوير :٤٤٤/٥.

(١٩) هود / ٨٨

(٢٠) مكارم الشيرازي : الامثل: ٧/ ٥٠

(٢١) سيد قطب : في ظلال القران : ٢٦٢/٤.

(٢٢) القرطبي: تفسير القرطبي : ٩/ ٧٦.

(٢٣) مكارم الشيرازي : الامثل : ٥٠/٧.

(٢٤) البقرة /١١

(٢٥) ابن كثير : ١٨١/١.

(٢٦) سيد طنطاوي : الوسيط: ٢٧/١

(٢٧) البروج/ ١١

(٢٨) الطوسي : التبيان في تفسير القران : ١٥٧/٧

(٢٩) سيد طنطاوي : الوسيط : ١/ ٢١٩٢

(٣٠) الكهف/٨٢

(٣١) انظر: السيوطي : الدر المنثور : ٦/ ٣٨٩

(٣٢) سيط طنطاوي : الوسيط: ٢٧٤١/١.

(٣٣) مكارم الشيرازي :تفسير الامثل : ٤٤٥/٨.

(٣٤) الاسراء/ ٢٥

(٣٥) الطباطبائي : تفسير الميزان الطبأطبائي ٤٤/١٣.

(٣٦) مكارم الشيرازي : الامثل:٤٤٤/٨.

(٣٧) الطباطبائي : تفسير الميزان الطبأطبائي :١٥٧/١٥

(٣٨) الطباطبائي : تفسير الميزان الطبأطبائي: ١٥٧/١٥

(٣٩) هود/ ١١٧.

(٤٠) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري :٥٣٠/١٥ .

(٤١) القرطبي ، تفسير القرطبي :٩/ ٩٨

(٤٢) محمد أحمد ملكاوي :عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، السعودية ، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م : ١٧

(٤٣) صالح بن فوزان بن عبد الله : عقيدة التوحيد ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، السعودية ، الرياض ، ط١ ،١٤٣٤هـ :٩/١.

(٤٤) ملكاوي :عقيدة التوحيد في القرآن الكريم :١٨.

(٤٥) ابن كثير : تفسير القران العظيم ، دار الفيحاء ، دمشق، دار السلام ، ط١، ١٤١٤-١٩٩٤م :١٦/٣/ ١٦٧.

(٤٦) احمد فائز الحمصي : قصص الرحمن في ظلال القران :١٢/٢.

(٤٧) الصافات: ٨٤

(٤٨) سيد قطب : في ظلال القران : ٣١٨٤/٢٥/٥.

(٤٩) مكارم الشيرازي : تفسير الامثل :٤٥٦/٩

(٥٠) الشعراء :٢١٤.

(٥١)الأنبياء: ٥٢

(٥٢) محمد بسام رشدي : مدرسة الأنبياء عبر وأضواء دار الفكر المعاصر ،بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق –سوريا ، ط١: ٨

(٥٣) الأنبياء: ٥٦

(٥٤) سيد قطب: في ظلال القران :٢٣٨٥/١٧/٤.

(٥٥) الأنبياء: ٥٨

(٥٦) البقرة: ٢٥٨

(٥٧) الطبري: تفسير الطبري :٤٣٢/٥.

(٥٨) سيد قطب : ظلال القران:٢٩٦/٣/١-٢٣٨.

(٥٩) عبد الرحمن حللي: حرية الاعتقاد في القران الكريم دراسة في إشكالية الرد والجهاد والجزية :١٠١.

(٦٠) بن فارس، مقاييس اللغة:١ /٤٧٩

(٦١) زبيدي، تاج العرو س من جواهر القاموس:٢٠/ ٤٥١

(٦٢) ابن منظور، لسان العرب:٦٧٩/١

(٦٣) جمال الدين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري، ط١ ،١٩٩٢م:١٣٩.

(٦٤) مكارم الشيرازي: التفسير الامثل : ٦/ ٥٠٧.

(٦٥)هود:٢٧

(٦٦)مكارم الشيرازي: التفسير الامثل: ٥٠٩/٦-٥١٠.

(٦٧) هود: ٢٩

(٦٨) مصدر سابق : التفسير الامثل: ٥١٠/٦

(٦٩) محمد الأمين الشنقيطي :أضواء البيان في تفسير القران :٧٢/٩.

(٧٠) محمد عبده، الأعمال الكاملة، دار الشروق، لبنان، ط١، ١٩٩٣م :١٣٦-١٣٧.

(٧١) محمد سيد طنطاوي: تفسير الوسيط: ٣١٧٤/١.

(٧٢) الشعراء: ١٢٨

(٧٣) مكلارم الشيرازي : التفسير الامثل: ٤١٩/١١

(٧٤) المصدر: نفسه:٤٢٠/١١.

(٧٥) الشيخ الطوسي : التبيان في تفسير القرا: ٨/ ٤٤.

(٧٦) الشعراء: ١٤٩

(٧٧) سيد طنطاوي : الوسيط :١٦٤١/١

(٧٨) الاعراف:٧٩.

(٧٩)مكارم الشيرازي: التفسير الامثل : ٣٧٤/١٢

(٨٠) النمل: ٥٥

(٨١) أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير:١٤٤/٣

(٨٢) بن جرير الطبري : تفسير الطبري : ٨٨/١٣

(٨٣) سيد قطب: في ظلال القران :٢٨٩/٣

(٨٤) سيد طنطاوي/الوسيط :١٦٥٣/١

(٨٥) انظر : ابن فارس، مقاييس اللغة : ٩٥/٥، وانظر:الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥٢٤/٢، وانظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ٥٦/١.

(٨٦) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ،٩٥/٥.

(٨٧) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ٣٩٦/١، وانظر ابن منظور لسان العرب : ٣٦٤٢/٥، وانظر : الكفوي ، الكليات :١٥٨/١.

(٨٨) انظر :الفراهيدي ، العين ، ٥٥/٥

(٨٩) انظر: الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ٣٩٦/١.

(٩٠) انظر: ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط :٣٨/٢.

(٩١) بوداقجي ، عبد الرحيم ، مبادئ في علم الاقتصاد والمذاهب الاقتصادية ، الداودي ، دمشق ،١٩٨٨م :٥

(٩٢) أكرم عبد العزيز ، الإصلاح المالي ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠٠٧م:٧

(٩٣) القحطاني ، مسفر بن علي ، نظام الاقتصادي في الاسلام ، دار الفكر ،بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م:٢/١.

(٩٤) هود :٨٥.

(٩٥) الرازي ، مفاتيح الغيب :٢٤٧/١.

(٩٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القران :٤٥٣/١٥..

(٩٧) الالوسي، روح المعاني :١١٥/١٢

(٩٨) الطبأطبائي ، تفسير الميزان :١٨٨/١٠.

(٩٩) ابن عاشور ، التحرير والتوير :١٣٦/١٢.

(١٠٠) السمرقندي ، بحر العلوم:٢/ ١٢٧.

(١٠١) الرازي، مفاتيح الغيب:٢٠١٩/١

(١٠٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:٢٩/٢

(١٠٣) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٢ ،ص٢٢٦

(١٠٤) الاعراف :٨٥

(١٠٥) ابن منظور ، لسان العرب : ٢١٤٩/٣.

(١٠٦) الرازي ، مختار الصحاح: ٣٢٦/١.

(١٠٧) الفراهيدي ، العين :٣٣٦/٧.

(١٠٨) لكفوي، الكليات: ١ /٥١٠.

(١٠٩) بن تيميه، تقي الدين أبو العباس احمد بن تيميه الحراثي (ت ٧٢٨ هـ)، مجموع لفتاوى، تحقيق : أنور الباز، دار الوفاء، ط٣ ،٢٠٠٥م: ٤ /٤٩٣

(١١٠) النساء: ٥٤

(١١١) لطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، :٤٨٢/٨.

(١١٢) الرازي، مفاتيح الغيب، :١١٢٠/١.

(١١٣) النساء: ٥٨

(١١٤) لرازي، مفاتيح الغيب :١٤٧٤/١

(١١٥) المائدة: ٥٠

(١١٦) الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن:٣٩٤/١٠

(١١٧) المائدة: ٤٩

(١١٨) النساء: ٥٤

(١١٩) يوسف: ٥٦

(١٢٠)البغوي، معالم التنزيل:٤٩٩/٢

(١٢١) الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن:٢٠/١٥

(١٢٢) القصص : ٥-٦.

(١٢٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط :٩٩/٧

(١٢٤) لطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن:٣٧٨/٥

(١٢٥) النور: ٥٥

(١٢٦) الرازي، مفاتيح الغيب٣٠٤٤/١.

(١٢٧) طبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن:٢٠٨/١٩

(١٢٨) الحج: ٤١

(١٢٩) يوسف :٢٣

(١٣٠) القرطبي: الجامع لاحكام القران :١٦٩/٩.

(١٣١) يوسف :٩٢

(١٣٢) عبد الفتاح طبارة ، ط٧، ١٣٧٦هـ – ١٩٦٦م :٢١٠.

(١٣٣) يوسف:٥١

(١٣٤) يوسف:٩١

(١٣٥) يوسف:٦٦

(١٣٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م :/ ٦٠٤-٦٠٥ .

(١٣٧) يوسف:١٨

(١٣٧) يوسف:٨٣

(١٣٨) روح الصلاة في الإسلام ،تحقيق عبد الفتاح طبارة ، ط٣ ،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م : ٤١.

(١٣٩) روح الصلاة في الإسلام ،تحقيق عبد الفتاح طبارة ، ط٣ ،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م : ٤١.

(١٤٠) طه:٤٣-٤٤.

(١٤١) النمل: ٥٤ – ٥٥

(١٤٢) الاعراف :٨٥

(١٤٣) النساء: ١١٤

(١٤٤) الاعراف: ١٧٠.